



## مرض قسوة القلوب

### ملخص الخطبة

- ١- منزلة القلب. ٢- صحة القلب وسقمه. ٣- مرض القسوة. ٤- مظاهر قسوة القلب. ٥- قسوة القلب عقوبة ربانية. ٦- فضل اللين والرحمة. ٧- ذم الله تعالى القساة قلوبهم. ٨- علاج قسوة القلب. ٩- سعة الرحمة في الإسلام.

### الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ انْفُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَقُّ النَّفْوَى، وَاسْتَمْسِكُوا مِنَ الْإِسْلَامِ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ، وَتَزَيَّنُوا لِلْعَرْضِ الْأَكْبَرِ عَلَى اللَّهِ، يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ [الحاقة: ١٨]، الْعَاقِلُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَنْتَظِرَ نَفْسًا مَا قَدَّمْتَ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ [الحشر: ١٨].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، الْقَلْبُ أَشْرَفُ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ، جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَعَاءً لِلْخَيْرِ وَالرَّشَادِ، ذَاكِرًا لِلَّهِ عَامِلًا لَهُ، سَاعِيًا إِلَيْهِ، قَائِدًا لِلْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ، أَوْ وَعَاءً لِلشَّرِّ وَالْفَسَادِ، غَافِلًا عَنِ اللَّهِ، عَامِلًا لِلشَّيْطَانِ، سَاعِيًا إِلَيْهِ؛ وَلِذَا كَانَ مِنْ أَكْثَرِ دُعَاءِ النَّبِيِّ : (( يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ )) رواه الترمذي وحسنه وأحمد.

وَالْقُلُوبُ . عِبَادَ اللَّهِ . حَيَاةَ كَحَيَاةِ الْجَسَدِ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْهَا وَأَجْمَلُ، وَلَهَا أَمْرَاضٌ كَأَمْرَاضِ الْجَسَدِ، بَلْ أَعْتَى مِنْهَا وَأَفْسَى، وَعَلَى قَدْرِ حَيَاةِ الْقَلْبِ تَكُونُ حَيَاةُ الْجَسَدِ وَالرُّوحِ، وَتَصْلُحُ الْأَعْمَالُ، وَتُنَالُ الدَّرَجَاتُ، وَتَعْفَرُ الْخَطِيئَاتُ، وَيَقْدَرُ فَسَادُ الْقَلْبِ وَاسْتِحْكَامُ أَمْرَاضِهِ تَكُونُ عَاهَةً لِلْجَسَدِ وَفَسَادُ الرُّوحِ وَطَلَاحُ الْأَعْمَالِ وَالْعَبُّ مِنَ السَّيِّئَاتِ.

رَوَى الْإِمَامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ حُدَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ: ((تُعْرَضُ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُوْدًا عُوْدًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكْتٌ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكْتٌ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءٌ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضٍ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتْ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخِرُ أَسْوَدٌ مُزْبَادًا كَالْكُوزِ مُجْحَبًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ)).

عِبَادَ اللَّهِ، وَأَخْطَرُ أَمْرَاضِ الْقُلُوبِ وَأَعْتَاهَا عَلَى ابْنِ آدَمَ مَرَضُ الْقَسْوَةِ الَّذِي يَنْتَظِمُ عَدَدًا مِنَ الْأَخْلَاقِ الْقَبِيحَةِ وَالْأَدْوَاءِ الرَّذِيئَةِ الْمُتَمَثِّلَةِ فِي الْعُنْفِ وَالْغِلْظَةِ وَالْفَضَاضَةِ وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الْحَقِّ وَعَدَمِ الْخُشُوعِ



لله وَعَدَمَ الْإِحْسَاسِ بِأَهَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَالْأَمِّ الضُّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَتِلْكَ جَمِيعًا وَيَلَاتٌ وَمِحَنٌ وَيَلَايَا عَلَى الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعَاتِ، تُزِيلُ النَّعَمَ، وَتَجْلِبُ النَّقَمَ، وَتَقُودُ إِلَى الرَّوَالِ وَالْفَنَاءِ، ثُمَّ الْجَحِيمِ وَالسَّعِيرِ، تَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ وَمَالِهِمْ. قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ : (أَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاءِ: جُمُودُ الْعَيْنِ، وَقِسَاوَةُ الْقَلْبِ، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا).

الْقِسْوَةُ . عِبَادَ اللَّهِ . مُنَاقِضَةٌ صَرِيحَةٌ لِلرَّحْمَةِ وَاللِّينِ وَالْعَطْفِ وَالشَّفَقَةِ، تَنفَاوَتْ فِي الْقُلُوبِ وَالنُّفُوسِ ارْتِقَاءً وَهُبُوطًا وَقَلَّةً وَكَثْرَةً؛ فَمِنْ النَّاسِ مَنْ صَارَ قَلْبُهُ أَقْسَى مِنَ الصَّخْرِ الصَّلْدِ، لَا يَحِنُّ لِمُسْتَضْرِحٍ، وَلَا يَعْطِفُ عَلَى مُتَأَلِّمٍ، وَلَا يَلِينُ لِمُتَوَجِّعٍ، يَقَعُ أَمَامَهُ مِنَ الْمَوَاقِفِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَتَهَدَّى لِمِثْلِهَا الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ، وَتَنْفَطِرُ لَهَا الْأَفْنِدَةُ السَّلِيمَةُ، فَلَا يَحْرُكُ سَاكِنًا، قَدْ انْعَدَمَتْ فِي نَفْسِهِ عَاطِفَةُ الْإِحْسَاسِ بِالْأَمِّ الْآخَرِينَ وَحَاجَاتِهِمْ حَتَّى أَوْرَثَتْهُ جَفَافًا نَفْسِيًّا، يَنْعَدِمُ مَعَهُ الشُّعُورُ بِالْوَاجِبِ الْإِنْسَانِيِّ الْفِطْرِيِّ نَحْوَ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ. أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [الزمر: ٢٢]. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : شَكَأَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ قِسْوَةَ قَلْبِهِ، فَقَالَ لَهُ: ((إِنْ أُرِدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ)) رَوَاهُ أَحْمَدُ.

وَالْقِسْوَةُ فِي الْقَلْبِ هِيَ غِلْظَتُهُ وَنُبُوثُهُ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَإِعْرَاضُهُ عَنْهُ، وَهِيَ عِقَابٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يَصُبُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْمُعْرِضِينَ عَنِ شَرْعِهِ الْمُبْتَعِدِينَ عَنِ هُدْيِهِ وَدِينِهِ؛ فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلَهُمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا [المائدة: ١٣]. قَالَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (مَا ضُرِبَ عَبْدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعْظَمَ مِنْ قِسْوَةِ قَلْبٍ، وَمَا غَضِبَ اللَّهُ عَلَى قَوْمٍ إِلَّا نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قُلُوبِهِمْ).

فَالْقِسْوَةُ إِذَا هِيَ ذَهَابُ الرَّحْمَةِ وَاللِّينِ وَالخُشُوعِ مِنَ الْقَلْبِ، إِذِ اللَّيْنُ هُوَ سُهُولَةُ الْإِنْفِيَادِ وَالنَّطْفُفُ مَعَ النَّاسِ مُعَامَلَةٌ وَتَحَدُّتًا، وَرَفَقًا بِهِمْ وَالتَّمَسُّاسًا لِلْعُدْرِ لَهُمْ وَالبُعْدِ عَنِ تَعْنِيهِمْ؛ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ [آل عمران: ١٥٩].

وَاللِّينُ مِنْ صِفَاتِ الْقُلُوبِ الْمُؤْمِنَةِ الْبَرَّةِ الرَّحِيمَةِ، يُورِثُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَا، وَيَحُطُّ الْخَطَايَا، وَيُوجِبُ الْجَنَّةَ؛ قَالَ : ((حَرَّمَ عَلَى النَّارِ كُلُّ هَيْئٍ لَيِّنٍ سَهْلٍ قَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ)) رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ. وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى كَمَالِ الْإِيمَانِ وَقُوَّةِ الْإِسْلَامِ، يَعْطِفُ قُلُوبَ النَّاسِ وَيَجْمَعُهُمْ حَوْلَ مَنْ يُلِينُ لَهُمْ جَانِبَهُ، وَهُوَ أَدْعَى لِلْإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ وَالسَّمَاخَةِ وَالْمُودَّةِ، وَتِلْكَ كُلُّهَا خِلَالَ عَظِيمَةٍ، تَسْتَدْعِي رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّمَا يَرَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءِ. عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : ((مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْأَحْمَةِ مِنَ الرَّزْعِ، تُفِيئُهَا الرِّيحُ؛ تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا أُخْرَى حَتَّى تَهِيَجَ، وَمَثَلُ الْكَافِرِ كَمَثَلِ الْأَرْزَةِ الْمُجْدَبَةِ عَلَى أَصْلِهَا، لَا يُفِيئُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً)) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَاللَّفْظُ لِمُسْلِمٍ. اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ



رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكِ هُدَىٰ اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضَلِّلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ [الزمر: ٢٣]. قَالَ قَتَادَةُ رَحِمَهُ اللَّهُ: "هَذَا نَعْتُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بَأَنَّهُ تَفْسَعِرُ جُلُودَهُمْ، وَتَبْكِي أَعْيُنُهُمْ، وَتَضْمِنُ قُلُوبَهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ، وَلَمْ يَعْثُتْهُمْ بِذَهَابِ عُقُولِهِمْ، وَالْعَشْيَانِ عَلَيْهِمْ، إِنَّمَا هَذِهِ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ".

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ، لَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَحَدَّرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَطُولَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فِي الْمَعَاصِي وَالْغَفْلَةِ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَفْسَوْ قُلُوبَهُمْ؛: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ [الحديد: ١٦]. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: (مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا وَبَيْنَ أَنْ عَابَتَنَا اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ) رواه مسلم.

نَعَمَ عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّهَا السُّنَنُ الْإِلَهِيَّةُ الْكُونِيَّةُ الَّتِي تَجْرِي فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ وَنُفُوسِهِمْ؛ وَهِيَ أَنَّ مَنْ اسْتَعْرَقَ فِي الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ وَنَقَضَ مَوَائِقِفَهُ مَعَ اللَّهِ طَرَدَهُ مِنْ صُفُوفِ أَهْلِ النَّفُوسِ، وَأَبْعَدَهُ عَنِ مَهَابِطِ رَحْمَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، حَتَّى يَفْسُو قَلْبُهُ وَيَعْلُوهُ الرَّاغِبُ وَالظُّلْمَةُ.

إِنَّ آيَةَ أُمَّةٍ يَطُولُ عَلَيْهَا الْعَهْدُ وَهِيَ تَتَقَلَّبُ فِي بَحْبُوحَةِ النَّعَمِ عَلَىٰ فِسْقٍ وَمَعْصِيَةٍ وَنِسْيَانٍ لِرَبِّهَا وَابْتِعَادٍ عَنِ دِينِهَا لَا تَلْبَثُ أَنْ تَعْتَرِيهَا أَمْرَاضُ النَّفُوسِ وَأَدْوَاءُ الْقُلُوبِ، فَتَفْسُو قُلُوبَهَا، فَلَا تَخْشَعُ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ، ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ [البقرة: ٧٤].

إِنَّهَا ثَلَاثُ حَالَاتٍ مَقْفُودَةٍ فِي الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ، صَوَّرَتْهَا ثَلَاثُ حَالَاتٍ لِلصُّخُورِ الْقَاسِيَاتِ؛ فَمِنْ الْحِجَارَةِ الْقَاسِيَةِ مَا تَتَفَجَّرُ مِنْهُ يَنَابِيعُ الْمَاءِ النَّزَّةِ بِالْأَنْهَارِ الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ وَتَجْرِي فِي الْأَرْضِ، وَمِنْهَا مَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ مَاءٌ غَيْرُ نَارٍ يُنْفَعُ بِهِ، وَمِنْهَا مَا يَهْبِطُ بِتَأْثِيرِ هَرَاتٍ وَعَوَارِضَ إِلَىٰ مَوَاطِنِ النَّوَاضِعِ وَالخُشُوعِ لِلَّهِ. أَمَّا الْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ فَلَا تَسْتَجِيبُ لِأَيِّ مُؤَثِّرٍ يَسْتَنْبِئُ الرَّحْمَةَ، بَلْ تَنْظَلُ فِي قَسْوَتِهَا وَاسْتِكْبَارِهَا، فَلَا تَنْزِلُ وَلَا تَخْضَعُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَلَا تَعْرِفُ لِلرَّحْمَةِ وَاللَّيْنِ طَرِيقًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ فَقَالَ: نَقْبُلُونَ الصَّبِيَّانَ؟! فَمَا نَقْبَلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ: ((أَوَأَمَلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟!)) رواه البخاري ومسلم، وَقَالَ: ((إِنِّي لِأَقُومُ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوَّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِي كَرَاهِيَّةٍ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّهِ)) رواه البخاري.

إِنَّهَا الرَّحْمَةُ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ؛ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ يَقُولُ: ((لَا تَنْزَعُ الرَّحْمَةَ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ)) رواه الترمذي وحسنه وأحمد وأبو داود. وَقَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيُّ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: ((لَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لَا يَرْحَمُ النَّاسَ)) رواه البخاري ومسلم.



اللَّهُمَّ وَفِنَّا لِهَذَاكَ، وَاجْعَلْ عَمَلَنَا فِي رِضَاكَ، وَاجْعَلْنَا مِنْ عِبَادِكَ الرَّحْمَاءِ، وَارْحَمْنَا يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْكَ،  
وَلَا تَجْعَلْ فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِيًّا وَلَا مَحْرُومًا، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.  
أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فَاسْتَغْفِرُوهُ وَتُوبُوا إِلَيْهِ؛ إِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا.

### الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى إِحْسَانِهِ، وَالشُّكْرُ لَهُ عَلَى تَوْفِيقِهِ هِهْ وَامْتِنَانِ هِهْ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ تَعْظِيمًا لِسَانِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ الدَّاعِي إِلَى رِضْوَانِهِ ِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ ِ وَأَصْحَابِهِ ِ وَإِخْوَانِهِ، وَالتَّالِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ ِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.  
أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ، انْفُوا اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَقَّ النُّفُوسِ، فَإِنَّ نَفْوَاهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى سَبَبُ الْفَلَاحِ  
وَالسَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وَاعْلَمُوا . رَحِمَكُمُ اللَّهُ . أَنَّ قَسْوَةَ الْقَلْبِ إِنَّمَا تُلَيِّنُ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، فَبِذِكْرِ اللَّهِ تَرِقُ الْأَفْئِدَةُ، وَبِالْعَمَلِ الصَّالِحِ تَخْسَعُ النُّفُوسُ لِخَالِقِهَا، وَتَلَيِّنُ الْقُلُوبَ أَمَامَ بَارِيهَا؛ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ [الرعد: ٢٨، ٢٩]،  
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ [الأنفال: ٢-٤].

وَإِنَّ كِتَابَ اللَّهِ الْعَزِيزِ لَهُوَ خَيْرٌ مِمَّا تَرِقُ بِهِ الْأَفْئِدَةُ وَتَخْسَعُ لَهُ الْقُلُوبُ؛ وَقَدْ قَالَ : (( لَا تُكْثِرُوا الْكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ، وَإِنْ أَبْعَدَ النَّاسُ مِنَ اللَّهِ الْقَلْبَ الْقَاسِي ))  
رواه الترمذي ومالك.

عِبَادَ اللَّهِ، لَقَدْ تَسَامَتْ رَحْمَةُ الْإِسْلَامِ حَتَّى شَمَلَتْ الْحَيَوَانَاتِ فِي غَابِهَا وَالطَّيْرَ فِي أَعْشَاشِهَا وَسَائِرِ  
الكَائِنَاتِ فِي وَكْرِهَا، أَفَيَكُونُ الْإِنْسَانُ أَبْعَدَ شَيْءٍ عَنْهَا؟! قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ  
فِي سَفَرٍ، فَأَنْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، فَزَأَيْنَا حُمْرَةً . وَهِيَ طَائِرٌ صَغِيرٌ . مَعَهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخِيهَا، فَجَاءَتْ  
الْحُمْرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرُسُ، فَجَاءَ النَّبِيُّ فَقَالَ : (( مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بَوْلِدَهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إِلَيْهَا )) . وَرَأَى قَرِيَةً نَمَلٍ  
قَدْ حَرَقَتْهَا، فَقَالَ : (( مَنْ حَرَقَ هَذِهِ؟ )) قُلْنَا: نَحْنُ، قَالَ : (( إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَدَّبَ بِالنَّارِ إِلَّا رَبُّ  
النَّارِ )) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ . وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقُولُ : (( جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ،  
فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَحَّمُ الْخَلْقَ حَتَّى  
تَرْتَفِعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا حَشِيَّةً أَنْ تُصِيبَهُ )) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ .

وَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ مِنْكَ . أَخِي الْمُسْلِمَ . وَالذَّاكِ اللَّذَانِ رَبِّيكَ صَغِيرًا، سَهْرًا وَتَعَبًا مِنْ أَجْلِكَ، فَاتَّقِ  
اللَّهَ فِيهِمَا، ارْحَمَهُمَا إِنْ كَانَا عَلَى قَبْدِ الْحَيَاةِ، لَا تَوَاخِذْهُمَا، وَلَا تَهْنِئْهُمَا، وَأَكْرِمْهُمَا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ



الذُّلُّ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَقُلْ: رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا.  
وَكَذَا الْأَوْلَادُ وَالرَّوَجَةُ وَسَائِرُ أَهْلِكَ وَإِخْوَانِكَ وَأَقْرَبَانِكَ، فَهُمْ أَوْلَىٰ مِنْكَ بِالرَّحْمَةِ وَأَحْوَجُ إِلَيْهَا؛ فَقَدْ قَالَ  
أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضِعًا لَهُ فِي  
عَوَالِي الْمَدِينَةِ، فَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ، فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ وَإِنَّهُ لَيَدَّخُنُ، وَكَانَ ظَنُّرُهُ قَيْنًا، فَيَأْخُذُهُ فَيَقْبَلُهُ، ثُمَّ  
يَرْجِعُ. رواه مسلم.

وَكَذَا مَنْ تَحْتَ يَدِكَ أَوْ قَلْدِكَ اللَّهُ أَمْرُهُ؛ مِنْ خَدَمٍ وَعَامِلٍ وَمُوظَّفٍ وَرَعِيَّةٍ، فَهَؤُلَاءِ جَمِيعًا هُمْ فِي حَاجَةٍ  
إِلَى الرَّحْمَةِ وَالشَّفَقَةِ مِنْكَ، فَلَا تَكُنْ قَاسِيًا فَضًّا غَلِيظًا فَتُكْسِرُ، وَلَا ضَعِيفًا خَوَارًا جَبَانًا فَتُكْسِرُ،  
فَالْإِسْلَامُ بَيْنَ الْعَدْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْوَسْطِ، وَقَدْ قَالَ: ((اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ  
فَاشْفُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَارْفُقْ بِهِ)) رواه مسلم.

فَنَحَلُوا. رَحِمَكُمُ اللَّهُ. بِالرَّحْمَةِ وَالْعَطْفِ، تَرَاحَمُوا فِيمَا بَيْنَكُمْ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ  
وَخَلَقِهِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ.

ثُمَّ صَلُّوا وَسَلَّمُوا عَلَى مَنْ أَمَرَكَ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ عَزَّ مِنْ قَائِلِ عَلِيمٍ: إِنَّ اللَّهَ  
وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا تَسْلِيمًا [الأحزاب: ٥٦]، وَقَالَ:  
(مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ بِهَا عَشْرًا)) رواه مسلم.

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ  
بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ...